خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ١٤- ١١ -٢٠٠٨

في مسجد بيت الفتوح بلندن

۞۞۞۞۞۞

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحيم * الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَن الرَّحيم * مَالك يَوْم الدِّين * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صِرَاط الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْر الْمَغْضُوب عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾. (آمين)

إن من صفات الله ﷻ الواهب أو الوهّاب، والمعاني والتفاسير المختلفة التي أوردها أصحاب القواميس والمعاجم لهذه الكلمة هي نفسها أو متفق عليها. لذا قد اخترت المعاني التي وردت في لسان العرب لهذه الكلمة فقد ورد فيه: الوَهَّابُ من صفاتِ الله؛ أي الْمُنعِمُ على العباد كذلك من صفات الله الواهب.

يقول صاحبُ هذا المعجم: "في أَسماءِ الله تعالى الوَهَّابُ. الهِبةُ: العَطِيَّة الخاليةُ عن الأَعْواضِ والأَغْراضِ، فإِذا كَثُرَتْ سُمِّي صاحِبُها وَهَّاباً".

هذه الكلمة تستخدم صفةً للعباد أيضا غير أن الوهاب الحقيقي هو الله وحده ﷻ الذي يعطي ويهب عباده بكثرة إثر سؤالهم ودون أي سؤال منهم. وإذا فكر المؤمن الحقيقي فهو يستطيع أن يشاهد مشاهد كرم الله ﷻ وعطائه وإنعامه كل حين وآن. وهذا ما يقودنا إلى إلهنا الحي القيوم، لكن الكفور الذي لا يشكر الله ﷻ لا تتراءى له أفضال الله وهباتُه وعطاياه. ومَن ينظر إلى هذه الأشياء بنظرة دنيوية فهو يزعم أنه بسبب الأسباب الدنيوية يتلقى كل هذه الإنعامات والنعم. إن الله ﷻ قد أورد هذه الكلمة أو صفته هذه في القرآن الكريم في أكثر من موضع وأكثر من سياق، منها ذكر نزول نعمه على الأنبياء والصالحين. وبذكر هذه الصفة لفت انتباهنا إلى الأدعية المختلفة بما فيها الدعاء للذرية الصالحة والدعاء لصلاح المجتمع والدعاء لإحراز التقدم في التقوى والدعاء لتقوية الإيمان. فهناك أدعية مختلفة أخرى قد ذُكرتْ في القرآن الكريم، والآن سأتناول جانبا من هذه الأدعية في خطبتي اليوم بشيء من التفصيل. لقد وجه الله ﷻ أنظار عباده المؤمنين وذراريهم إلى أن يدعوا الله ﷻ لأولادهم وزوجاتهم وفي الوقت نفسه وذلك لتقريبهم من الهدف مِن خلقِهم، بل لأداء حق هذا الهدف على أحسن وجه. ثم أمر الزوجات أن يدعون لأزواجهن وأولادهن لكي تنتقل الحسنات من شخص إلى شخص وتتم المحافظة عليها جيلا بعد جيل. يقول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان ٧٥)

إنه لدعاءٌ جامع وشامل، ومعناه: ربنا اجعلنا قرة أعين بعضنا لبعض وهبْ لنا ذرية تكون قرة أعين لنا. ومعلوم أن الله تعالى عندما يعلِّم أي دعاء ويقول لعباده أنِ اسألوني قرة أعين، فهو دعاء لاستنـــزال أفضال الله التي لا حصر لها ولا علمَ بها للإنسان، وإنما الله ﷻ وحده يعلم بذلك ولا يستطيع الإنسان أن يحيط بها علما. وبالسير على دروب هذه الحسنات التي ذكرها الله عز وجل في القرآن الكريم لا يصير الأزواج والأولاد قرة عين بعضهم لبعض في الحياة الدنيا فحسب، بل بعد الوفاة أيضا يكرم الله ﷻ عبده بإنعاماته بسبب الحسنات التي كان يحرزها في حياته في الدنيا. فبعد وفاة المؤمن يستمر أولاده في القيام بتلك الحسنات التي كان يداوم عليها في حياته، كما تدعو الذريةُ الصالحة لوالديها وتعمل أعمالا صالحة أخرى تتسبب في ارتفاع درجاتهم في الآخرة. فحسنات الذرية ودعاؤهم في حق آبائهم يُكسب المؤمن في العالم الآخر قرةَ أعين. يقول الله تعالى في موضع آخر: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة ١٨)

فقد ورد ذلك في حق أولئك الذين يولون عبادة الله ﷻ اهتماما بسبب تقواهُم وخشيتِهم لله ﷻ وينفقون في سبيله لقوله تعالى: ﴿مما رزقهم﴾ ويحرزون حسناتٍ أخرى أيضا. فهم يستيقظون ليلا ويبيتون داعين الله أن يثبِّتهم على الصراط المستقيم وأن يسيِّر أولادهم أيضا على الصراط المستقيم. ويسألون الله قرة أعين لا يعلمها إلا الله ﷻ. فالأزواج يدعون لزوجاتهم وذرياتِهم كما تدعو الزوجات لأزواجهن وذرياتهن أن يوفقهم الله للتمسك بأهداب التقوى ويُكرمَهم الله جميعا بإنعاماته في هذه الحياة الدنيا ويكسبهم

رضوانه حتى ينالوا قرب الله ﷻ في الآخرة. فهذا الدعاء الذي يدعو به عباد الله الرحمن عاملين بالحسنات، ويحاولون أن يتركوا وراءهم ذرية تتحلى بالتقوى. إن الله عز وجل بتعليمه إيانا هذا الدعاءَ قد لفت انتباهنا إلى القيام بعمل مهم جدا في كل حين وآن، لا يتسبب في نيل رضوانه ﷻ لأنفسنا فحسب بل يسيِّر أجيالَنا القادمة أيضا على الدرب الذي يورثهم أفضال الله. فقد نبّهنا من خلال جملة: ﴿واجعلنا للمتقين إماما﴾ أنكم لن تفوزوا بقرة أعين ما لم تسيروا أنتم على طرق التقوى وكذلك أولادكم أيضا. وإذا كانت أعمالُكم لا تتسم بالتقوى فلا يمكن أن تكونوا أئمة للمتقين في محيطكم.

فكل واحد منا بحاجة إلى أن يحاسب نفسه لنعلم فيما إذا كنا نسير – بعد هذا الدعاء – على درب التقوى بخصوص أداء حقوق بعضنا بعضا؟ وهل نسعى من أجل تربية أولادنا لإيفاء هذه الشروط التي تؤهلهم للسير على طرق التقوى؟ إذا كان الزوجان لا يسلكان طريق التقوى على مستوى البيت فأنّى لهما أن يَرَيَا مشاهد استجابة دعائهما في حق أولادهما؟ كذلك إذا كانت التقوى مفقودة فكيف ينالون بركات الخلافة والجماعة؟ لأن الله ﷻ قد اشترط استمرار الخلافة بالأعمال الصالحة. ولو فقدت التقوى لاستحال صدور أعمال صالحة أو بتعبير آخر إذا لم تكن ثمة أعمال صالحة فليس هناك أي تقوى. وإذا لم تكن هناك تقوى فلا يمكن أن يكون الزوجان قرة أعين لبعضهما بعض، كما لا تكون الأولاد قرة أعين لهما. فلجعْل الأولاد قرة أعين لا بد من فحص حالتنا الروحانية وعباداتنا لنرى هل نسعى لتحقيق ذاك المستوى المطلوب أم لا؟

لقد وجّه رسول الله ﷺ إلى الزوج والزوجة نصحية قيّمة بخصوص العبادة حيث يقول ﷺ: "رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلتْ، فإن أبتْ نضح في وجهها الماء. ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء" (سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب قيام الليل)

فهذه المسؤولية تقع على عاتق الزوج والزوجة كليهما أن يهتمّا بعبادتهما كي تتحقق لهما قرة أعين من أجيالهم القادمة. تصلني الشكاوى من بعض النساء أن أزواجهن يتكاسلون في أداء صلاة الفجر رغم إيقاظهن إياهم.. والصلواتِ المكتوبة الأخرى ناهيك عن أداء صلاة التهجد. لا أدري كيف وبأي وجه يدعو هؤلاء الرجال دعاء: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾؟ وأنّى لهم أن يجدوا قرة أعين في أولادهم؟ وكيف يرجون من الله أن يستجيب دعاءهم في حق أولادهم أن يكونوا من المتقين؟

صحيح أنه إذا أراد الله تعالى أن يرحمهم بوجه خاص فلا راد لفضله، فهو المالك والقادر على كل شيء. ومن جانب آخر إن الله قد أمرنا لضرب أمثلة عليا للتقوى أيضا كما أمرنا أن نعمل لتحسين حالتنا الروحانية. ولا بد لنا من القيام بذلك بُغية نيل نصيب من فضله ورحمته. فالذين يتوقعون من أولادهم أن يكونوا قرة لأعينهم عليهم أن يجعلوا قول النبي ﷺ: "ما نَحَل والدٌ ولده نَحْلا أفضل من أدبٍ حسن"، نصب أعينهم دائما. والأدب الحسن لا يتأتّى إلا إذا كان الإنسان بنفسه يتحلى بأخلاق تكون نموذجا لأولاده، ويكون

حائزا على مستوى أعلى في العبادة والأعمال الصالحة الأخرى أيضا. يقول المسيح الموعود عليه السلام في شرح الآية المذكورة أعلاه:

"إن قرة العين من الأزواج والأولاد إنما تتحقق حين لا يعيش الإنسان بنفسه عيشة فسق وفجور بل يعيش عيشة عباد الرحمن، ويقدم الله سبحانه وتعالى على كل شيء. فقد قال الله تعالى بعد ذلك بوضوح تام: ﴿واجعلنا للمتقين إماما﴾ فإذا كان أولاده متقين كان هو إماما لهم. ففي ذلك يكمن دعاء ليكون الإنسان تقيا."

إذن، فهذه المسؤولية أولا وقبل كل شيء تقع على الرجال أن يسلكوا سبلا تجعلهم عباد الرحمن حقيقة. كذلك النساء أيضا – بصفة كونهن راعيات في البيت – فهن مسؤولات عن تربيةِ أولادهن تربيةً حسنة لكي يكونوا أعضاء مفيدين للمجتمع. ومن أجل تربية النساء يجب على الرجال أن يتقدموا في أسوتهم أولا في هذا السبيل. فلو تقدم الزوجان في سبيل الحسنات لثبت الأولاد على تلك الحسنات أو لحاولوا على الأقل أن يسلكوا هذا السبيل. وبالإضافة إلى ذلك ستساعد أدعيتهما في تربيتهم. الحديث الذي أوردته قبل قليل حيث قال النبي ﷺ ما مفاده أنه لو استيقظ الرجل للصلاة فليوقظ زوجته، وإذا استيقظت الزوجة فلتوقظ زوجها. وهذا لا يمكن إلا إذا كان الزوجان على علاقة متينة من الحب والوئام والتفاهم المتبادل، ويدركانِ جيدا أن عليهما المحافظة على عبادتهما الليلية وصلواتِهما، لذا لا بد أن نساعد بعضنا بعضا في النهوض صباحا من أجل الصلاة. وإن لم تكن بينهما تفاهم متبادل – كما تصلني الشكاوي من هذا القبيل أحيانا – وأيقظت الزوجة زوجها

لواجهت المسكينة معاملةً قاسية جدا. وليس من مستبعد أن تتعرض للضرب أيضا علاوة على سماعها كلاما قاسيا. ولا أقول ذلك على سبيل الافتراض فقط بل إن هذا يحدث في بعض البيوت على صعيد الواقع. ثم إما تلزم النساء الصمت ويحاولن الحفاظ على صلواتهن أو ينهجن منهج أزواجهن. أما الأولاد فيمكن أن يكون وضعهم جيدا من الناحية الدنيوية، وقد ينالون ثقافة جيدة أيضا، ولكنهم يفسدون تماما من الناحية الدينية. بل يحدث أحيانا أنه لو ساد البيتَ مثلُ هذا الوضع لضاع الأولاد كُليا من الناحية الدنيوية أيضا. فمن أجل جعل الأولاد قرة للعيون ينبغي على الوالدينِ أن يصلحوا أنفسهم أولا، كما ينبغي أن يقدموا أسوة مثلى في سلوكياتهم. يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

"يجب على أفراد جماعتنا أن يعلِّموا زوجاتهم التقاةَ من أجل الحفاظ على تقوى نفوسهم، وإلا سيكونون من الآثمين. إذا كانت في الزوج عيوب بحيث تقوم امرأته في وجهه وتقول له فيك كذا وكذا من العيوب، فأنّى لها أن تخاف الله؟ إذا لم يكن الإنسان متحليا بالتقوى فلن يُنجب إلا أولادا خبثاء. وإن كون الأولاد طيبين يقتضي سلسلة طويلة من الطيبات (أي الأعمال الصالحة)، وإلا فيفسد الأولاد. لذا يجب على الجميع أن يتوبوا، ويبدوا قدوة حسنة للنساء. إن الزوجة تكون لزوجها كالجاسوس ولا يستطيع الزوج أن يخفي عنها عيوبه. تكون النساء فطينات، فلا تظنوهن من الجاهلين، ويتصبَّغْنَ بكل تأثيراتكم تلقائيا. لو كان الزوج على صراط مستقيم لخشين منه ومن الله أيضا. الزوجات يتأثرن من أزواجهن فكلما ازداد الزوج في الصلاح والتقوى نالت الزوجة نصيبا منه حتما."

فهذا ما يتوقعه سيدنا المسيح الموعود عليه السلام من كل رجل أحمدي. وهذه الكلمات يجب أن تهز كياننا. وإنها لمسؤولية كبيرة تقع على الرجال. كانت النساء فيما سبق تنقصهن الثقافة أو كنّ على قدر يسير منها، أما في العصر الراهن فقد زادهن نورُ العلم بصيرةً ومعرفة إلى حد كبير، وتوجد في الجماعة سيداتٌ بعدد لا بأس به يحترقن من الداخل نظرا إلى العيوب في أزواجهن. وكما قلتُ من قبل، فإنهن في بعض الأحيان ينفصلن عنهم – وهن قلقات مضطربات بسبب قسوتهم– ليحافظن على حسناتهن. وهناك بعض العائلات حيث تهتم النساء أكثر من الرجال بتربية الأولاد. ويحدث أحيانا أن الزوجة تنفصل عن زوجها نظرا إلى حالته المتردية من حيث الأخلاق والروحانية، وهذا يترك تأثيرا سلبيا على الأولاد ولا سيما في مثل هذا المجتمع الذي نعيش فيه حيث يكون الأولاد في أمسّ الحاجة إلى إشراف الوالد عليهم. وهذا النوع من الانفصال بين الزوجين يؤدي إلى فساد أخلاق الأولاد حين يصلون سن البلوغ. والرجال هم المسؤولون عن كل هذا. فالرجال الذين يقومون بمثل هذه التصرفات يجب أن يفكروا جيدا كم هم أشقياء إذا لم ينالوا إنعامات الله تعالى في حين قد علّمنا الله تعالى دعاء من أجل الحصول عليها ومن أجل بقائنا وبقاء أجيالنا. وحين يعلم الله دعاء فمعناه أنه سيستجيبه أيضا. وقد استخدم الله في هذا الدعاء كلمات: "هب لنا من أزواجنا"، وقد بيّن من خلالها أنه لا يريد منكم شيئا، بل يريد أن يُنعم عليكم ويريد أن تسيروا على صراط مستقيم من أجل بقائكم وبقاء أولادكم. كما يوجه أنظاركم إلى أنه لو سلكتم هذا الطريق لورثتم إنعاماتي. فعلينا أن نحاسب أنفسنا ونسلك الطرق

التي تُكسبنا رضا الله تعالى. فعليكم أن تحافظوا على الطمأنينة والسكون في بيوتكم حتى تقر أعينكم من قبل أولادكم دائما. ويجب أن يكون في كل بيت أحمدي أناس ثابتون على التقوى الحقيقية. كما ينبغي أن يكون كل شخص في المحيط الأحمدي متحليا بالتقوى. وهذا ما سيؤهلكم للاستفادة من نعمة الخلافة بالمعنى الحقيقي. وهذا ما سيؤهلكم لأداء حق انضمامكم إلى جماعة المسيح الموعود والإمام المهدي الذي بُعث خادما مخلصا لسيدنا رسول الله ﷺ. فالسعداء منا هم أولئك الذين يدركون هذا المبدأ جيدا، والذين حين يسألون الله تعالى الوهابَ قرة أعين لهم فإنه ﷻ يهبهم إياها في الدنيا والعقبى بطرق لا يتصورها الإنسان.

وبالنسبة إلى الأولاد أريد أن أتحدث عن أمر آخر يؤدي إلى تفكك العائلات – ويؤثر سلبا على الأولاد بسبب علاقات متوترة بين الزوجين – وهو أن العلاقات بين الزوجين تتوتر أحيانا، أو يكون الزوج ساخطا على زوجته لأنها تنجب الإناث فقط ولا تنجب الذكور. يقول الله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ (الشورى: ٥٠).

يقول الله تعالى هنا: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾، ثم يقول: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ (الشورى ٥١). فالطعن في الزوجة بخصوص شيء يقول الله تعالى عنه إنه واهبُه لهو انحراف عن جادة التقوى. لا شك أن الكثيرين يستفيدون مما اخترعه عقل الإنسان من طرق المعالجة الحديثة فتتحقق رغبة البعض فيُرزقون بالأولاد الذكور أيضا. ولكن هنا أيضا يظهر الله

تعالى كونه خالقا وقادرا. ففي بعض الأحيان لا ينفع في هذا الصدد شيء مهما قام الناس بمحاولات مضنية للمعالجة. فالتعامل مع الزوجة بمعاملة قاسية وجعْلُ حياتِها مثل جهنم لعدم إنجاب الذكور، أو عدم معاملة الوالد مع البناتِ بالحب والود كما هو حقهن لهو يخلق النفور والكراهية في قلب البنات تجاه الوالد. عندما تمثل هذه الأمور للعيان أستغرب وأتحير حيرة ما بعدها حيرة على أن هناك بعض الناس في هذا الزمن أيضا يظلمون أولادهم بالطريقة التي نجد ذكرها في زمن الجاهلية حين كانت وجوه الآباء تسودّ عند ولادة البنت لديهم. فباختصار، فإن الأمور المذكورة أعلاه كلها ناتجه عن الجهل والغباوة لا غير، وعلى كل مسلم أحمدي أن يتجنبها. أنا شخصيا أعرف منذ زمن عائلة أحمدية حيث أنجبت الزوجة أربع أو خمس بنات، فتزوج الرجل ثانية ليُرزَق ابنًا، فأنجبت الزوجة الثانية أيضا بنتين أو ثلاث بنات، فتزوج مرة ثالثة لتحقيق الهدف نفسه، فلم تنجب الزوجة الثالثة أيضا إلا البنات. ثم تزوج للمرة الرابعة فلم تنجب هذه الزوجة أيضا إلا البنات. ثم شاء قدر الله تعالى أن رُزقت الزوجة الأولى – التي لم تُنجب من قبل إلا البنات – بصبي.

إذن، فالأمر في يد الله، يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء ذكورا. فإذا كنتم ترغبون في الأولاد أو الذكور منهم، فلا تتشاجروا فيما بينكم ولا تفسدوا بيوتكم بل اسألوا الله تعالى وادعوه أن يهبكم أولادا صالحين، كما علّمنا الله تعالى دعاء في هذا الصدد في القرآن الكريم على لسان الأنبياء. فقال تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِيْنَ﴾، وقال في موضع آخر: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ (آل عمران: ٣٩) فيجب أن تسألوا الله وتدعوه دائما

لتُرزَقوا الذرية الطيبة والصالحة، وينبغي أن تدعوا دائما لتكون قرة للأعين. حينما يبدي بعض الناس رغبتهم في أن يُرزقوا صبيا أقول لهم دائما أنِ ادعوا الله تعالى أن تُرزَقوا أولادا صالحين وسليمين معافين. ففي بعض الأحيان تكون البنات أكثر صلاحية وخدمة لآبائهن من البنين، ويجلبن سمعة طيبة لآبائهن، بينما يجلب لهم البنون عارًا وشنارًا أحيانا. فإن من صفات المؤمن أن يسأل اللهَ ذرية طيبة وصالحة دائما ثم يدعو الله تعالى باستمرار أن تكون ذريته قرة لعينيه، وإلا ما فائدة الذرية التي تسيء إلى سمعة الوالدين. إنني أتلقى رسائل كثيرة يبدي أصحابها القلق على اعوجاج سلوك ذريتهم، كما يبدي أفراد الجماعة في أثناء مقابلتهم معي نفس القلق. فالأصل هو سكينة القلب وكونُ الذرية صالحة وطيبة، وإن لم يتحقق ذلك فلا فائدة من الأولاد. أقدم لكم الآن ما بين سيدنا المسيح الموعود عليه السلام عن الصلاح، يقول حضرته: "لا يكون في الصالحين أي نوع من الأمراض الروحانية ولا أي مادة فاسدة".

فلتحقيق هذا الهدف ولبلوغ هذا المستوى يجب أن ندعو لأولادنا ونحاول أن نتمسك نحن أيضا بهذا المبدأ لكي تنتقل هذه الحسنات إلى أجيالنا القادمة على الدوام، وتتولد ذرية طيبة تجلب لآبائهم قرة أعين جيلا بعد جيل وتُكسب الجماعةَ والعائلةَ سمعةً طيبة. وهذا، كما قلت، لن يتحقق ما لم نحاسب أنفسنا ونتنبّه جيدا لأعمالنا، وما لم ننضم إلى جماعة الصالحين وما لم نسلك دروب التقوى، فنحن بأمس حاجة للتمسك بهذا والعمل به، وفقنا الله سبحانه وتعالى جميعا لذلك. آمين.